

رسالة المُسْتَرشِدِينَ

فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ وَمَحَاسِبَةِ النَّفْسِ

لِلْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ الْمُحَاسِبِيِّ الْبَصْرِيِّ

(١٦٥-٢٤٣هـ)

ص: ٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْإَوَّلِ الْقَدِيمِ الْوَاحِدِ الْجَلِيلِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَبِيهُ وَلَا
نَظِيرٌ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ وَيَبْلُغُ مَدَى نِعَمَائِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ عَالِمٍ بِرُبُوبِيَّتِهِ
عَارِفٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اصْطَفَاهُ لِوَحْيِهِ وَخَتَمَ
بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ: {لَا يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنِ
بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيِّنَةٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٤٢]

أَمَّا بَعْدُ!

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ اجْتَبَى مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ذَوِي الْأَلْبَابِ
الْعَالِمِينَ بِهِ وَبِأَمْرِهِ فَوَصَفَهُمْ بِالْوَفَاءِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْخَوْفِ
وَالْحَشْيَةِ فَقَالَ عَزَّوَعَلَا: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ [١٩] الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ [٢٠] وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ [الرعد: ١٩ - ٢١]}.

فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ وَوَصَلَ التَّصَدِيقُ إِلَى قَلْبِهِ وَرَغِبَ فِي
الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ لَزِمَ مِنْهَا ذَوِي الْأَلْبَابِ بِرِعَايَةِ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ مِنْ

ص: ٧٠

كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ
الْمُهْتَدُونَ مِنَ الْأُمَّةِ.

وَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ عِبَادَهُ فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ:
{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣]}.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ).^١

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ فَرِيضَةَ كِتَابِ اللَّهِ الْعَمَلِ بِحُكْمِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

ص: ٧١

وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِمُتَشَابِهِهِ وَالْإِعْتِبَارِ بِقِصَصِهِ
وَأَمْثَالِهِ.

فَإِذَا أَتَيْتَ بِذَلِكَ فَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَمِنْ
عَذَابِ الشُّكِّ إِلَى رَوْحِ الْيَقِينِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ
آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة: ٢٥٧]}.

(ص: ٧٢ فارغة المتن)

وَأَمَّا يَمِيزُ ذَلِكَ وَيَرْغَبُ فِيهِ أَهْلُ الْعَقْلِ عَنِ اللَّهِ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي إِحْكَامِ
الظَّاهِرِ وَتَنَزَّهُوا عَنِ الشُّبْهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: (الْحَلَالُ بَيْنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ

^١ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ٢٤٦/١٨ الْحَدِيثُ: ٦١٨ وَهَذَا لَفْظُهُ ، وَأَبُو دَاوُدَ، السُّنَنِ، السَّنَةِ، بَابِ لُزُومِ السَّنَةِ: ٤٦٠٧ وَأَحْمَدُ، الْمُسْنَدُ، مُسْنَدُ الْعَرَبِيَّاتِ بِنِ سَارِيَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٦٦٩٢ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ.

ص: ٧٤

وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ^١ تَرَكُّهَا خَيْرٌ مِّنْ أَخْذِهَا.

(ص: ٧٥ فارغة المتن)

فَافْحَصْ عَنِ النَّيَّةِ وَاعْرِفِ الْإِرَادَةَ فَإِنَّ الْمُجَازَاةَ بِالنِّيَّةِ

ص: ٧٦

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَمْرٍ مَّا نَوَى)^٢.

وَالزَّمْ تَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ: (المُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
وَالْمُؤْمِنَ مَنْ أَمِنَ النَّاسَ بِوَأْتِقَهُ)^٣.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ص: ٧٧

اتَّقِ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ، وَأَطِعِ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ، وَكُفِّ يَدَكَ عَنِ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ،
وَبَطْنِكَ عَنِ أَمْوَالِهِمْ، وَلِسَانِكَ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ^٤.
وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فِي كُلِّ خَطْرَةٍ.

ص: ٧٨

١ . من حديث النعمان بن بشير بألفاظ متقاربة أخرجه البخاري، الصحيح، الأئمان، باب فضل من استبرأ لدينه: ٥٢
ومسلم، الصحيح، المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات: ١٥٩٩ وأهل السنن.

٢ . أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، البخاري، الصحيح، بدء الوحي، باب بدء الوحي: ١.

٣ . هو اقتباس من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي، السنن، الأئمان، باب ما جاء المسلم من سلم المسلمون: ٢٦٢٧ والنسائي، السنن
المجتبى، الأئمان وشرايعه، باب صفة المؤمن: ٤٩٩٥

٤ . جزء من وصية الصديق للفراروق عند الوفاة أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥٩/١ الحديث: ٣٧ قال الهيثمي في م جمع الزوائد
٢٢٠/٤ باب وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه : هو منقطع الإسناد ورجالته ثقات. نسوق لكم منته لفوائد: عن الأغر أبي مالك ،
قال : لما أراد أبو بكر رضي الله عنه ، أن يستخلف عمر بعث إليه ، فدعاه ، فأتاه ، فقال : إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه ، فاتق
الله يا عمر بطاعته، وأطعه بتقواه ، فإن المتقي أمين محفوظ ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجب ، إلا من عمل به فمن أمر بالحق
وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف ، وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أم نيته ، وأن يحبط عمله ، فإن أنت وليت عليهم أمرهم ، فإن
استطعت أن تجف يدك من دمايهم وأن تضمر بطنك من أموالهم ، وأن يجف لسانك عن أعراضهم ، فافعل ، ولا قوة إلا بالله .

(ص: ٧٩ فارغة المتن)

ص: ٨٠

وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِي كُلِّ نَفْسٍ. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَرِثُوهَا قَبْلَ أَنْ تُورِثُوهَا وَتَزِينُوا لِلْعَرَضِ الْإِكْبَرِ يَوْمَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ^١.

ص: ٨١

وَحَفِيَ اللَّهُ فِي دِينِكَ وَارْجُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ. قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَخَفْ إِلَّا ذَنْبَكَ

ص: ٨٢

وَلَا تَرْجُ إِلَّا رَبَّكَ وَلَا يَسْتَحِي الَّذِي لَا يَعْلَمُ أَنْ يُسْأَلَ حَتَّى يَعْلَمَ، وَلَا يَسْتَحِي مَنْ يُسْأَلُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ.

(ص: ٨٣ فارغة المتن)

ص: ٨٤

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.

فَإِذَا سَمِعْتَ كَلِمَةً تُغْضِبُكَ فِي عَرَضِكَ فَاعْفُ وَاصْفَحْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

^١ . أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي مَحْصَبَةِ النَّفْسِ ص: ٢٢ الْحَدِيثُ: ٢. وَابْنُ الجوزي في صِفَةِ الصَّفوة ٢٨٦/١ وَأَخْرَجَ نحوه الترمذي، السنن، صفة القيامة، باب منه: ٢٤٥٩

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ،
وَمَنْ اتَّقَاهُ لَمْ يَصْنَعْ مَا يُرِيدُ، وَلَوْلَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ.
وَرَاعَ هَمَّكَ وَاشْتَغَلَ بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِكَ، فَإِنَّهُ

ص: ٨٥

كَانَ يُقَالُ: كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ
مِنْ نَفْسِهِ أَوْ يَمُتُ النَّاسَ فِيمَا يَأْتِي مِثْلَهُ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ، أَوْ يَقُولَ
فِي النَّاسِ مَا لَا يَعْنِيهِ.

وَاسْتَعْمَلَ لِلَّهِ عَقْلَكَ بِتَرْكِ التَّدْبِيرِ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى صَرْفِ
الْمَقَادِيرِ. قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَا تَفْرَحْ بِالْغِنَى، وَلَا تَقْنَطَ
بِالْفَقْرِ، وَلَا تَحْزَنَ بِالْبَلَاءِ، وَلَا تَفْرَحْ بِالرِّخَاءِ فَإِنَّ الدَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ

ص: ٨٦

وَإِنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ، وَإِنَّكَ لَا تَنَالُ مَا تُرِيدُ إِلَّا بِتَرْكِ مَا
تَشْتَهِي، وَلَنْ تَبْلُغَ مَا تُؤَمِّلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَابْدُلْ جُهْدَكَ
لِرِعَايَةِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْكَ.

ص: ٨٧

وَارْضَ بِمَا أَرَادَكَ اللَّهُ لَهُ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَعْنَى
النَّاسِ، وَاجْتَنِبْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ،

(ص: ٨٨ - ٩٠ فارغة المتن)

ص: ٩١

وَأَدَّ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ.

(ص: ٩٢ فارغة المتن)

ص: ٩٣

وَلَا تَشْكُ مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ، وَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ خَاصَّتِهِ.

قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ: أَظْهَرَ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ وَطَلَبَ الْحَاجَاتِ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ.

ص: ٩٤

وَإِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ.

ص: ٩٥

وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَجِدَ طُعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(ص: ٩٦-١٠١ فارغة المتن)

ص: ١٠٢

وَكُنْ قَائِلًا بِالْحَقِّ، عَامِلًا بِهِ، يَزِدْكَ اللَّهُ نُورًا وَبَصِيرَةً، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَأْمُرُ بِهِ وَيَنَأَى عَنْهُ، فَتَبُوءَ بِإِثْمِهِ، وَتَتَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ:

{ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف : ٣] . }

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ وَعِظَ وَلَمْ يَتَّعِظْ وَزُجِرَ وَلَمْ يَنْزَجِرْ وَهِيَ وَلَمْ يَنْتَهَ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَائِبِينَ).^١
 وَلَا تُخَالِطُ إِلَّا عَاقِلًا تَقِيًّا، وَلَا تُجَالِسْ إِلَّا عَالِمًا بَصِيرًا.
 وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ فَقَالَ: مَنْ
 ذَكَرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيُتُهُ،

(ص: ١٠٣-١٠٧ فارغة المتن)

ص: ١٠٨

وَزَادَنِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ وَذَكَرْتُكُمْ بِالْآحِرَةِ عَمَلٌ هُ.^٢
 وَتَوَاضَعٌ لِلْحَقِّ وَاخْضَعٌ لَهُ،

ص: ١٠٨

وَأَدِمَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَنَلَّ قُرْبَهُ.

(ص: ١٠٩-١١٦ فارغة المتن وفيها تعليقات)

ص: ١١٧

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جُلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 الْخَاضِعُونَ، الْمُتَوَاضِعُونَ، الْخَائِفُونَ، الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا).^٣

ص: ١١٨

١ . لم أعره عليه في مصادر الحديث والله أعلم.
 ٢ . أخرجه عن ابن عباس، أبو يعلى في مسنده ٣٢٦/٤ الحديث: ٢٤٣٧ وقال الهيثمي في م جمع الزوائد ١٠/٣٨٩ الحديث: ١٧٦٨٦:
 أبو يعلى وفيه مبارك بن حسان وقد وثق وبقيه رجاله رجال الصحيح. وقال حسين سليم أسد: إسناده لين.
 ٣ . قال أبو غدة: هذا الحديث لم أجده فيما رجعت إليه من المراجع الحديثية، فإله أعلم به.

وَابْدُلِ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 اللَّهَ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
 الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الَّذِينَ
 النَّصِيحَةُ)¹.

ص: ١١٩

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أَحَبَّكَ

ص: ١٢٠

وَمَنْ دَاهَنَكَ فَقَدْ غَشَّكَ وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَتَكَ فَلَيْسَ بِأَخٍ لَكَ.
 قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ لَيْسُوا
 بِنَاصِحِينَ، وَلَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ لَا يُجِبُونَ النَّاصِحِينَ.²
 وَآثِرِ الصَّدَقِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ تَغْنَمُ

ص: ١٢١

وَاعْتَزِلِ الْفُضُولَ تَسْلَمُ

ص: ١٢٢

فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرَّ يَهْدِي إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَ الْكَذِبَ
 يَهْدِي إِلَى الْفَجُورِ وَ الْفَجُورَ يُورِثُ سَخَطَ اللَّهِ.

ص: ١٢٣

¹ . أخرجه عن تميم الداري رضي الله عنه مسلم، الصحيح، باب:

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا تَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْينُكَ، وَ
دَعُ كَثِيرًا مِّمَّا يَعْينُكَ، وَلَا تُمَارِ سَفِينَهَا وَلَا حَلِيمًا وَادْكُرْ أَخَاكَ بِمَا تُحِبُّ

ص: ١٢٤

أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ.

وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُجَارَى بِالْإِحْسَانِ مَا خُوذُ بِالْإِجْرَامِ.^١
وَأَدِمْ شُكْرَ اللَّهِ، وَأَقْصِرْ مِنْ أَمَلِكَ، وَزُرِ الْقُبُورَ بِهَمِّكَ تُذَكِّرَكَ
الْمَوْتَ، وَجُلْ فِي الْحُشْرِ بِقَلْبِكَ.

ص: ١٢٥

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرَى وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي
الْمَوْتَى، وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَّ لَا يَنْسَى وَالْخَيْرَ لَا يَنْفَى،

ص: ١٢٦

وَاعْلَمْ أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْعِمُكَ.
وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ.

(ص: ١٢٧ فارغة المتن)

ص: ١٢٨

ثُمَّ رَمَّ جِهَارَكَ وَأَفْرَغْ مِنْ زَادِكَ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ وَلَا تَجْعَلِ
الرِّجَالَ أَوْصِيَاءَكَ وَاعْقِلْ أَمْرَكَ، وَتَيَقَّظْ مِنْ سِنْتِكَ؛ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ
عُمْرِكَ.

^١ . انظر نحوه لآبن عباس عند الميداني في مجمع الأمثال ٤٥٥/٢

قَالَ أَبُو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ

ص: ١٢٩

عَنْ رَبِّهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ جِهَادِهِ.^١
 وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ جَعَلَ هَمَّهُ الْآخِرَةَ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ كَمَا ذُكِرَ فِي
 الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ: (تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتْ
 الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَمَنْ
 كَانَتْ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ.
 وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ
 تَنْقَادًا إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ).^٢
 وَاحْذَرْ يَا أَحْيَى الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ،

ص: ١٣٠

وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ،

ص: ١٣١

وَالكَلَامِ فِي التَّحْدِيدِ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ:

ص: ١٣٢

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [الفرقان : ٦٣].}

وَالزَّمِ الْأَدَبَ وَبَاعِدِ الْهَوَى وَالغَضَبَ، وَاعْمَلْ فِي أَسْبَابِ
 التِّيَقُّظِ، وَالْمُرَاقَبَةِ غَايَةَ قَصْدِكَ، وَاتَّخِذِ الرَّفْقَ خِدْنًا، وَالتَّأَنِّيَ صَاحِبًا،

ص: ١٣٣

وَالسَّلَامَةُ كَهْفًا وَ الْفَرَاغَ غَنِيمَةً وَالْدُنْيَا مَطِيَّةً وَالْآخِرَةَ مَنْزِلًا .
 وَقَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةً دُونَ
 الْجَنَّةِ.

وَاحْذَرِ مَوَاطِنَ الْعَقْلَةِ وَمَخَاتِلَ الْعَدُوِّ وَطَرَبَاتِ الْهَوَى وَضَرَاوَةَ الشَّهْوَةِ
 وَأَمَانِيَّ النَّفْسِ

ص: ١٣٤

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ
 الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ).^١

وَإِنَّمَا صَارَتْ أَعْدَى أَعْدَائِكَ لِطَاعَتِكَ لَهَا .

وَكُلُّ أَمْرٍ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فِيهِ الْحَقُّ فَاعْرِضْهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

ص: ١٣٥

وَالْآدَابِ الصَّالِحَةِ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَخُذْ فِيهِ رَأْيَ مَنْ تَرْضَى دِينَهُ
 وَعَقْلَهُ.

ص: ١٣٦

وَاعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْحَقِّ شَاهِدًا بِقَبُولِ النَّفْسِ لَهُ. أَلَا تَرَى لِقَوْلِ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ)^٢

ص: ١٣٧

^١ أخرجه نحوه أحمد، المسند، مسند وابصة بن معبد رضي الله عنه: ١٧٥٤٥ والدارمي، السنن، البيهقي، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك: ٢٥٣٣

وَقَيْدِ الْجَوَارِحِ بِإِحْكَامِ الْعِلْمِ.
وَرَاعِ هَمَّكَ بِمَعْرِفَةِ قُرْبِ اللَّهِ

ص: ١٣٨

مِنْكَ وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَقَامَ الْعَبْدِ الْمُسْتَجِيرِ بِجَدِّهِ رُوُوفًا رَحِيمًا.

ص: ١٣٩

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَزِّلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ بِقَدْرِ مَنْزِلَتِهِ مِنْهُ).^١

وَذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْحَشِيَّةِ لِلَّهِ وَالْعِلْمِ بِهِ وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ .
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْ آثَرَ اللَّهُ آثَرَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَحَبَّهُ وَمَنْ تَرَكَ لَهُ شَيْئًا لَمْ يُعَذِّبْهُ بِهِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ) ^٢ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ.

(ص: ١٤٠ فارغة المتن)

وَاحْمِ الْقَلْبَ عَنِ سُوءِ الظَّنِّ بِحُسْنِ التَّأْوِيلِ وَادْفَعْ الْحَسَدَ بِقَصْرِ الْأَمَلِ
وَأَنْفِ الْكِبَرَ بِسُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَاتْرُكْ كُلَّ فِعْلٍ يَضْطُرُّكَ إِلَى الْإِعْتِدَارِ،
وَجَانِبِ كُلِّ حَالٍ يَرْمِيكَ فِي التَّكَلُّفِ، وَصُنْ دِينَكَ بِالِاقْتِدَاءِ وَاحْفَظْ
أَمَانَتَكَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَحَصْنِ عَقْلِكَ بِآدَابِ أَهْلِ الْحِلْمِ.

وَأَعِدَّ الصَّبْرَ لِكُلِّ مَوْطِنٍ وَ الزَّمِ الْخُلُوةَ بِالذِّكْرِ وَاصْحَبِ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ.

(ص: ١٤١-١٤٢ فارغة المتن)

^١ أخرجه من حديث الحسن بن علي، الترمذي في السنن، صفة القيامة، باب منه: ٢٥١٨.

ص: ١٤٣

وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَاسْتَخِرَ اللَّهَ فِي كُلِّ حَالٍ وَمَا أَرَادَكَ اللَّهُ لَهُ
فَأَثَرَكَ الْإِعْتِرَاضَ فِيهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِهِ فَأَلْزِمَهُ نَفْسَكَ
وَكُلُّ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْتَرِلْهُ مِنْ أَخْلَاقِكَ، وَكُلُّ صَاحِبٍ لَا
تَزْدَادُ بِهِ خَيْرًا فِي كُلِّ يَوْمٍ فَايُذِّعْكَ عَنْكَ صُحْبَتَهُ.
وَخُذْ بِحِطَّتِكَ مِنَ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ.

(ص: ١٤٤ فارغة المتن)

ص: ١٤٥

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مُحْتَبَرٌ صِدْقُهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُطْلَبٌ نَفْسُهُ بِالْبَلَاوَى،
رَقِيبٌ لِلَّهِ عَلَى نَفْسِهِ. فَاثْبُتْ عَلَى مَحَجَّةِ الْحَقِّ تَأْتِكَ مَوَدَّةُ الْخَلْقِ.

(ص: ١٤٦-١٤٧ فارغة المتن)

ص: ١٤٨

وَاصْدُقْ فِي الطَّلَبِ تَرِثْ عِلْمَ الْبَصَائِرِ وَتَبْدُ لَكَ عُيُونُ الْمَعَارِفِ وَتَمَيِّزُ
بِنَفْسِكَ عِلْمَ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ بِخَالِصِ التَّوْفِيقِ فَإِنَّمَا السَّبْقُ لِمَنْ عَمِلَ
وَالْحَشْيَةَ لِمَنْ عِلِمَ، وَالتَّوَكُّلُ لِمَنْ وَثِقَ، وَالْخَوْفَ لِمَنْ أَيَقَنَ وَ الْمَزِيدَ
لِمَنْ شَكَرَ.

ص: ١٤٩

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَهْمِ بِقَدْرِ تَقْدِيمِ عَقْلِهِ وَمَوْجُودِ
عِلْمِهِ. فَتَقْوَاهُ لِلَّهِ وَطَاعَتُهُ.

فمن وهبَ اللهُ لَهُ الْعَقْلَ وَ أَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَبَصَّرَهُ بِالْيَقِينِ
وَعَرَّفَهُ عِيُوبَ نَفْسِهِ فَقَدْ نُظِمَتْ لَهُ خِصَالُ الْبِرِّ فَاطْلُبِ الْبِرَّ فِي
التَّقْوَى وَخُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ.

ص: ١٥٠

وَاسْتَجْلِبِ الْيَقِينَ بِمَبَاحِثِ الصِّدْقِ فِي مَوَاطِنِ التَّفَكُّرِ قَالَ اللهُ
عَزَّوَجَلَّ: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِ
يَكُونُ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ [الأنعام : ٧٥]

ص: ١٥١

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ فَإِنَّهُ أَعَلَّمَهُ)
وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَقْلٍ لَا يَصْحَبُهُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ فَهُوَ عَقْلٌ مَكَارٌ:
إِثَارُ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ
وَإِثَارُ الْعِلْمِ عَلَى الْجَهْلِ
وَإِثَارُ الدِّينِ عَلَى الدُّنْيَا

وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَصْحَبُهُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ فَهُوَ مَزِيدٌ فِي الْحُجَّةِ كَفِ
الْأَذَى بَقِطْعِ الرَّغْبَةِ وَوُجُودِ الْعَمَلِ بِالْخَشْيَةِ وَبَدَلِ الْإِنْصَافِ بِالتَّبَادُلِ
وَالرَّحْمَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا تَزِينُ أَحَدٌ بِزِينَةِ كَالْعَقْلِ
وَلَا لَيْسَ ثَوْبًا أَجْمَلَ مِنَ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ مَا عَرَفَ اللهُ إِلَّا بِالْعَقْلِ وَلَا أُطِيعَ
إِلَّا بِالْعِلْمِ.

وَاعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ بَنَوْا أُصُولَ الْأَحْوَالِ عَلَى شَاهِدِ الْعِلْمِ
وَتَفَقَّهُوا فِي الْفُرُوعِ لِأَتَرَى لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ عَمِلَ
بِمَا عِلْمٍ وَرَزَّهَ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)^١

وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ هُوَ تَزَايُدُ الْعِلْمِ بِالْإِشْفَاقِ وَمَزِيدُ الْعِلْمِ بِالِاقْتِدَارِ
فَكُلَّمَا أَزْدَادَ عِلْمًا أَزْدَادَ خَوْفًا وَكُلَّمَا أَزْدَادَ عَمَلًا أَزْدَادَ تَوَاضُعًا.
وَالْأَصْلُ الَّذِي بَنَوْا بِهِ فِي طَرِيقِهِمُ التِّزَامُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ
الْمُنْكَرِ بِالصِّدْقِ وَتَقْدِيمِ الْعِلْمِ عَلَى حُظُوظِ النُّفُوسِ وَالِاسْتِعْنَاءِ بِاللَّهِ
عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

فَاطْلُبْ آثَارَ مَنْ زَادَهُ الْعِلْمُ خَشْيَةً وَالْعَمَلُ بِصِيرَةً
وَالْعَقْلُ مَعْرِفَةً فَإِنْ حَجَبَكَ عَنْ مِنْهَا جِهَهُمْ فَقَدْ الْأَدَبِ فَارْجِعْ بِالذَّمِّ
عَلَى نَفْسِكَ وَلَنْ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ صِفَةُ الْمُخْلِصِينَ.

ص: ١٥٦

وَاعْلَمَ أَنَّ فِي كُلِّ فِكْرَةٍ أَدْبًا وَفِي كُلِّ إِشَارَةٍ عِلْمًا وَإِنَّمَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ مَنْ
فَهِمَ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مُرَادَهُ وَجَنَى فَوَائِدَ الْيَقِينِ مِنْ خِطَابِهِ.
وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ فِي الصَّادِقِ إِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ وَإِذَا صَمَتَ تَفَكَّرَ وَإِذَا تَكَلَّمَ
ذَكَرَ وَإِذَا مُنِعَ صَبَرَ وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ وَإِذَا ابْتُلِيَ اسْتَرْجَعَ وَإِذَا جُهِلَ
عَلَيْهِ حَلَّمَ وَإِذَا عِلْمٌ تَوَاضَعَ وَإِذَا عِلْمٌ رَفُقَ وَإِذَا سُئِلَ بَدَّلَ.

^١ . ليس بخبريَّتٍ و إنما هو كلام عيسى بن مريم عليهما السلام ذكره أحمد بن حنبل عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل. فهو مؤنوع الإسناد. انظر: حلية الأولياء للأصبهاني ١٥/١٠

شِفَاءٌ لِلْقَاصِدِينَ وَعَوْنٌ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ وَحَلِيفٌ صِدْقٍ لِلصَّادِقِينَ وَ
كَهْفٌ أَمْنٍ لِلخَائِفِينَ، بَرٌّ، قَرِيبُ الرِّضَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ بَعِيدُ الهِمَّةِ فِي
حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

نَيْتُهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ وَعَمَلُهُ أَتْلَعُ مِنْ قَوْلِهِ مَوْطِنُهُ الْحَقُّ وَمَعْقَلُهُ الْحَيَاءُ
وَمَعْلُومُهُ الْوَرَعُ وَشَاهِدُهُ الثِّقَّةُ، لَهُ بَصَائِرٌ مِنَ النُّورِ يُبْصِرُ

ص: ١٥٧

بِهَا وَ حَقَائِقُ مِنَ الْعِلْمِ يَنْطِقُ مِنْهَا وَ دَلَائِلُ مِنَ الْيَقِينِ يُعَبِّرُ عَنْهَا

ص: ١٥٨

وَإِنَّمَا يُوَصِّلُ بِذَلِكَ مَنْ جَاهَدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَفْسَهُ وَاسْتَقَامَتْ لِطَاعَتِهِ ۝
نَيْتُهُ وَخَشْيَ اللَّهِ ۝ فِي سِرِّهِ وَ عَلَانِيَتُهُ وَقَصَرَ الْأَمَلَ وَشَمَّرَ مِئْزَرَ الْحَذَرِ
وَأَقْلَعَ بِرِيحِ النَّجَاةِ فِي بَحْرِ الْإِبْتِهَالِ
فَأَوْقَاتُهُ غَنِيمَةٌ وَ أَحْوَالُهُ سَلِيمَةٌ لَمْ يَغْتَرَّ بِزُخْرَفِ دَارِ الْغُرُورِ وَ لَمْ يُلْهِهِ
بَرِيقُ سَرَابِ نَسِيمِهَا عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ النُّشُورِ، فَفَازَ بِمَقَامِ الْيَقِظَةِ بَعْدَ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِلَ لَمَّا صَحَّ عِلْمُهُ وَثَبَتَ يَقِينُهُ عَلِمَ أَنَّ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
رَبِّهِ إِلَّا الصِّدْقُ فَسَعَى فِي طَلْبِهِ وَبَحَثَ عَنْ أَخْلَاقِ أَهْلِهِ رَغْبَةً فِي أَنْ
يَجِيَّ قَبْلَ مَمَاتِهِ لِيَسْتَعِدَّ لِذَارِ الْخُلُودِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَبَاعَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ مِنْ رَبِّهِ
حَيْثُ سَمِعَهُ يَقُولُ: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ
لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة: ١١١] }.

ص: ١٥٩

فَعَلِمَ بَعْدَ الْجَهْلِ وَاسْتَعْنَى بَعْدَ الْفَقْرِ وَأَنَسَ بَعْدَ الْوَحْشَةِ وَقَرَّبَ بَعْدَ
 الْبُعْدِ وَاسْتَرَاحَ بَعْدَ التَّعَبِ فَاتْلَفَ أَمْرُهُ وَاجْتَمَعَ هُمُّهُ، وَصَارَتِ التَّقْوَى
 شِعَارَهُ وَالْمُرَاقِبَةُ حَالَهُ. أَلَا تَرَى لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 (اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ^١

ص: ١٦٠

يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ صَمِيمًا عَيْيًا وَحِكْمَتَهُ أَصَمَّتَهُ

ص: ١٦١

وَيَحْسِبُهُ الْأَحْمَقُ مَهْدَارًا وَالنَّصِيحَةَ لِلَّهِ أَنْطَقَتَهُ.

وَيَحْسِبُهُ غَنِيًّا وَالتَّعَفُّفُ أَغْنَاهُ وَيَحْسِبُهُ فَقِيرًا وَ التَّوَاضُّعُ أَدْنَاهُ
 لَا يَتَعَرَّضُ لِمَا لَا يَعْينُهُ وَلَا يَتَكَلَّفُ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ وَلَا يَأْخُذُ مَا
 لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ وَلَا يَدْعُ مَا وَكَّلَ بِحِفْظِهِ، النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَهُوَ مِنْ
 نَفْسِهِ فِي تَعَبٍ قَدْ أَمَاتَ بِالْوَرَعِ حِرْصَهُ وَ حَسَمَ بِالتُّقَى طَمَعَهُ وَأَفْنَى
 بُنُورَ الْعِلْمِ شَهَوَاتِهِ.

ص: ١٦٢

فَهَكَذَا فَكُنْ وَلِمِثْلِ هَؤُلَاءِ فَاصْحَبْ وَلَا تَارِهِمْ فَاتَّبِعْ وَ بِأَخْلَاقِهِمْ
 فَتَأَدَّبْ فَهَؤُلَاءِ الْكَنْزُ الْمَأْمُونُ..
 بَأَعْيُنِهِمْ بِالدُّنْيَا مَغْبُوتُونَ

ص: ١٦٤

^١ . أخرجه عن أبيالزرداء بهذا اللفظ أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٢/٨ و أصل الحديث عند الشيخين والمعروف بحديث جبريل.

وَهُمُ الْعُدَّةُ فِي الْبَلَاءِ وَالثَّقَاتُ مِنَ الْأَحْيَاءِ، إِنْ افْتَقَرْتَ أَغْنَوْكَ وَإِنْ دَعَا الرَّبَّ لَمْ يَنْسَوَكَ: {أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنْ حِزَبَ اللَّهُ هُمْ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢].

وَاعْلَمْ وَسَعَ اللَّهُ بِالْفَهْمِ قَلْبِي وَقَلْبِكَ وَأَنَارَ بِالْعِلْمِ صَدْرِي وَصَدْرِكَ وَجَمَعَ بِالْيَقِينِ هَمِّي وَهَمَّكَ أَيُّ وَجَدْتُ أَصْلَ كُلِّ بَلَاءٍ دَاخِلٍ عَلَى الْقَلْبِ ضَرُورَةً مِنْ نَتَائِجِ الْفُضُولِ وَأَصْلُ ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي الدُّنْيَا بِالْجَهْلِ وَنَسِيَانِ الْمَعَادِ بَعْدَ الْعِلْمِ. وَالنَّجَاةُ مِنْ ذَلِكَ تَرْكُ كُلِّ

ص: ١٦٥

مَجْهُولٍ فِي الْوَرَعِ، وَأَخَذُ كُلَّ مَعْلُومٍ فِي الْيَقِينِ.

ص: ١٦٦

وَوَجَدْتُ فَسَادَ الْقَلْبِ فَسَادَ الدِّينِ الْأَتْرَى لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)^١ وَمَعْنَى

ص: ١٦٧

الْجَسَدِ هَاهُنَا الدِّينُ لِأَنَّ بِالْدِّينِ صَلَاحَ الْجَوَارِحِ وَفَسَادَهَا.

^١ . أخرجه عن النعمان بن بشير، البخاري، الصحيح، الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه: ومسلم، الصحيح، المساقاة، باب أخذ الخلال وترك الشبهات:

وَأَصْلُ فَسَادِ الْقَلْبِ تَرْكُ الْمُحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ وَ الْإِغْتِرَارُ بِطُولِ الْأَمَلِ
فَإِذَا أَرَدْتَ صَلَاحَ قَلْبِكَ فَقِفْ مَعَ الْإِرَادَةِ وَعِنْدَ الْخَوَاطِرِ فَخُذْ مَا كَانَ
لِلَّهِ وَدَعْ مَا كَانَ لِغَيْرِهِ.
وَاسْتَعِنِ عَلَى قَصْرِ الْأَمَلِ بِدَوَامِ ذِكْرِ الْمَوْتِ.

ص: ١٦٨

وَوَجَدْتُ أُصُولَ الْفُضُولِ الْمُتَحَرِّكَةِ مِنَ الْقَلْبِ تَظْهَرُ عَلَى:
السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ اللِّسَانِ وَ الْغِذَاءِ وَ اللَّبَاسِ، وَ الْمَسْكَنِ.
فَفُضُولُ السَّمْعِ يُخْرِجُ إِلَى السَّهْوِ وَ الْعَقْلَةِ
وَ فُضُولُ الْبَصَرِ يُخْرِجُ إِلَى الْعَقْلَةِ وَ الْحَيْرَةِ
وَ فُضُولُ اللِّسَانِ يُخْرِجُ إِلَى التَّرْيِيدِ وَ الْبِدْعَةِ
وَ فُضُولُ الْغِذَاءِ يُخْرِجُ إِلَى الشَّرِّهِ وَ الرَّغْبَةِ.

ص: ١٦٩

وَ فُضُولُ اللَّبَاسِ يُخْرِجُ إِلَى الْمُبَاهَاةِ وَ الْخِيَلَاءِ.
وَ فُضُولُ الْمَسْكَنِ يُخْرِجُ إِلَى الْإِسْرَافِ وَ الْفَخْرِ.

ص: ١٧٠

وَاعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ الْجَوَارِحِ فَرِيضَةٌ وَتَرَكَ الْفُضُولِ فَضِيلَةٌ
وَالتَّوْبَةُ قَبْلَ ذَلِكَ فَرِيضَةٌ وَقَدْ فَرَضَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحریم : ٨] . مَعْنَى
نَصُوحًا تَرَكَ الْعُودَ فِيمَا تَابَ مِنْهُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ص: ١٧١

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا
وَتَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا).^١

ص: ١٧٢

وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:
حَلُّ إِصْرَارِ الْقَلْبِ عَنِ الْمَعَاوَدَةِ.
وَالِاسْتِغْفَارِ بِالنَّدَمِ.
وَرُدُّ التَّبِعَاتِ وَالْمَظَالِمِ.
وَحِفْظُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْحَوَاسِّ السَّبْعِ: السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَ اللِّسَانِ وَالشَّمِّ وَ
الْيَدَيْنِ وَ الرَّجْلَيْنِ وَالْقَلْبِ وَهُوَ أَمِيرُهَا وَبِهِ صَلَاحُ الْجَسَدِ وَفَسَادُهُ.
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ أَمْرًا وَ نَهْيًا فَرِيضَةٌ مِنْهُ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
سَعَةً وَابَاحَةً تَرْكُهَا فَضِيلَةٌ لِلْعَبْدِ.
فَفَرَضُ الْقَلْبِ -بَعْدَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ-: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَاعْتِقَادُ
حُسْنِ الظَّنِّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَالثِّقَةِ بِوَعْدِهِ، وَالخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَالرَّجَاءُ
لِفَضْلِهِ.

ص: ١٧٣

وَقَدْ رُوِيَ فِي مَعْنَى الْقَلْبِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

^١ . أخرجه ابن ماجه، السنن، باب فرض الجمعة: وفي سننه زيد بن جدعان و هو ضعيف بالاتفاق، روى عنه عبد الله بن محمد العدوي، و هو وضاع منكر الحديث، فالحديث موضوع.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَلِينُ لَهُ قَلْبِي).^١

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْحَقَّ يَأْتِي وَعَلَيْهِ نُورٌ فَعَلَيْكُمْ بِسَرَائِرِ الْقُلُوبِ).^٢

ص: ١٧٤

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلْقُلُوبِ شَهْوَةٌ وَإِقْبَالٌ وَفِتْرَةٌ وَإِدْبَارٌ فَاعْتَنِمُوهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَذَرُوهَا عِنْدَ فِتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا.
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَلْبُ مِثْلُ الْمِرَاةِ إِذَا طَالَ مَكُثُهَا فِي الْيَدِ صَدِئَتْ، وَكَالِدَّابَّةِ إِذَا غَفَلَ عَنْهَا صَاحِبُهَا هَزُلَتْ.

ص: ١٧٥

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مِثْلُ الْقَلْبِ مِثْلُ بَيْتٍ لَهُ سِتَّةُ أَبْوَابٍ، ثُمَّ قِيلَ لَكَ: احْذَرِ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنْ أَحَدِ الْأَبْوَابِ شَيْءٌ فَيُفْسِدَ عَلَيْكَ الْبَيْتَ. فَالْقَلْبُ: هُوَ الْبَيْتُ؛ وَالْأَبْوَابُ: اللِّسَانُ، وَالْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ، وَالشَّمُّ، وَالْيَدَانِ، وَالرِّجْلَانِ؛ فَمَتَى انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ضَاعَ الْبَيْتُ.

فَفَرَضُ اللِّسَانِ الصِّدْقَ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَكَفُّ الْأَذَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَتَرْكُ التَّزْيِينِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

١ . أخرجه أحمد، المسند/٥/٢٦٧، مسند أبي أمامة رضي الله عنه:

٢ . لم أعر عليه في مصادر الحديث والله أعلم.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ).^١

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).^٢

ص: ١٧٦

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْكَلَامِ حَسْبُ أَحَدِكُمْ مَا يَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُسْأَلُ عَن فُضُولِ كَلَامِهِ كَمَا يُسْأَلُ عَن فُضُولِ مَالِهِ).^٣

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ فَاتَّقَى اللَّهُ امْرُوءًا عَلِمَ مَا يَقُولُ).^٤

ص: ١٧٧

وَفَرَضُ الْبَصَرِ الْعَضُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَتَرْكُ التَّطَلُّعِ فِيمَا حُجِبَ وَسُتِرَ.

ص: ١٧٨

قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ص: ١٧٩

(النَّظَرُ سَهْمٌ مِّنْ سِهَامِ إبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ إِيمَانًا يَجِدُ حِلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ).^١

١ . أخرجه البخاري، الصحيح، الرقاق، باب حفظ اللسان:

٢ . أخرجه الترمذي، السنن، باب: قال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَحْمَدُ، الْمُسْنَدُ، مُسْنَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٣ . أخرجه الطبراني موقوفاً على عبد الله بن مسعود- في المعجم الكبير ٩/٩٣، الحديث: ٨٥٠٧ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/

٥٤٥ الحديث: ١٨١٨٢: رواه الطبراني وفيه المسعودي وقد اختلط، وابن أبي الدنيا -موقوفاً على أبي هريرة- في الصمت له ص: ٨٠

الحديث: ٧٧:

٤

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ النَّظَرِ الْحَرَامِ زُوجَ
مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ حَيْثُ أَحَبَّ؛ وَمَنِ اطَّلَعَ فَوْقَ بِيُوتِ النَّاسِ حَشَرَهُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.^٢

وَقَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ لِرَجُلٍ - وَقَدْ أَحَدَّ النَّظَرَ إِلَى بَعْضِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ
فَقَالَ: يَا هَذَا ارْزُدْ نَظْرَكَ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُسْأَلُ عَنْ
فُضُولِ نَظَرِهِ كَمَا يُسْأَلُ عَنْ فُضُولِ عَمَلِهِ.
وَيُقَالُ: لَكَ النَّظَرَةُ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ.^٣

ص: ١٨٠

فَمَا هَجَمَ عَلَى النَّظَرِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنِ الْعَبْدِ وَمَا اسْتَمَرَ بِهِ النَّظَرُ
بِمَعْقُولِ الْفَهْمِ فَالْعَبْدُ مَا خُوذُ بِهِ.
وَفَرَضُ السَّمْعِ تَبَعٌ لِلْكَلامِ وَالنَّظَرِ، فَكُلُّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ الْكَلَامُ فِيهِ
وَلَا النَّظَرُ إِلَيْهِ لَا يَحِلُّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَلَا التَّلَدُّ بِهِ.
وَالْبَحْثُ عَمَّا كُتِبَ عَنْكَ بَحْثُ سُنَنِ.
وَسِمَاعُ اللَّهِ وَالْغِنَاءِ وَأَذَى الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ كَالْمَيْتَةِ وَالْدَمِّ.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نُهِينَا عَنِ الْغَيْبَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ
إِلَيْهَا وَعَنِ النَّمِيمَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهَا.^٤

^١ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٦٢٢/١٠١٧٣ عن أبي هريرة و الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٤/٣٤٩، ٧٨٧٥ عن حذيفة
وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

^٢ حديث مرفوع أخرجه الترمذي، السنن، باب: و أحمد، المسند، مسند رضي الله عنه: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وَسُئِلَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ سَمَاعِ الْغِنَاءِ قَالَ: إِذَا مَيَّزَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيَّنَ يَقَعُ الْغِنَاءُ؟
قِيلَ: فِي حَوْزِ الْبَاطِلِ.
قَالَ: فَأَفْتِ نَفْسَكَ.^١

ص: ١٨١

وَلَيْسَ مِنْ جَارِحَةٍ أَشَدُّ ضَرًّا عَلَى الْعَبْدِ -بَعْدَ لِسَانِهِ- مِنْ سَمْعِهِ، لِأَنَّهُ
أَسْرَعُ رَسُولٍ إِلَى الْقَلْبِ وَأَقْرَبُ وَقُوعًا فِي الْفِتْنَةِ.
وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ وَكَيْعِ بْنِ الْجَرَّاحِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَةً مِّنْ مُّبْتَدِعٍ

ص: ١٨٢

مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، مَا أَسْتَطِيعُ إِخْرَاجَهَا مِنْ أُذُنِي.
وَكَانَ طَاوُوسٌ إِذَا أَتَاهُ مُبْتَدِعٌ سَدَّ أُذُنَيْهِ

ص: ١٨٣

لِيَلَّا يَسْمَعَ كَلَامَهُ .

ص: ١٨٤

وَفَرَضُ الشَّمِّ تَبَعٌ لِلسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَكُلُّ مَا حَلَّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَنَظَرُهُ
جَازٌ لَكَ شَمُّهُ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أُتِيَ بِمِسْكِ
فَأَمْسَكَ عَلَى أَنْفِهِ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنْهُ إِلَّا بِرَائِحَتِهِ.

وَفَرَضُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ: أَنْ لَا تَبْسُطَهُمَا إِلَى مَحْظُورٍ وَلَا تَقْبِضَهُمَا
عَنْ حَقٍّ.

قَالَ مَسْرُوقٌ: مَا خَطَا الْعَبْدُ خُطْوَةً إِلَّا كُتِبَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.
وَكُتِبَتْ ابْنَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ:
زُورِيْنِي.

فَكَتَبَتْ إِلَيْهَا عَبْدَةً:

أَمَّا بَعْدُ!

فَإِنَّ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَسِيرَ مَسِيرًا لَيْسَ هُوَ فِيهِ ضَامِنًا
عَلَى اللَّهِ أَوْ يَأْكُلَ

ص: ١٨٥

طَعَامًا إِذَا سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهِ مَخْرَجٌ وَقَدْ كَرِهْتُ
مِنْ ذَلِكَ مَا كَرِهَ أَبِي.
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا السَّبِيلُ إِلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ؟
قِيلَ: لُزُومٌ مِنْهَاجِ الْأَيْمَةِ الْمُتَّقِينَ وَالنَّظَرُ فِي آدَابِ الْمُسْتَرَشِدِينَ لِمَعْرِفَةِ
الْخَطُوبِ وَالتَّيَقُّظِ بِالمَحَاسِبَةِ وَالْعَمَلِ بِالإِنْصَافِ وَ التَّحَرُّزِ بِكَفِّ الأَذَى
(ص: ١٨٦-١٨٧ فارغة المتن و فيها تعليقات أبي غدة)

ص: ١٨٨

وَبَذَلَ الْفَضْلَ بِتَرْكِ الْمِنَّةِ، وَحُسْنِ السَّمْتِ بِغَيْرِ حَسَدٍ، وَالْقَنَاعَةَ بِحُبِّ
الْحُمُولِ، وَطُولِ الصَّمْتِ رَغْبَةً فِي السَّلَامَةِ، وَالتَّوَاضُّعَ لِلْخَلْقِ بِإِلَّا
وَحْشَةٍ، وَالْأُنْسُ بِالذِّكْرِ فِي الْخُلُوةِ، وَتَفَرُّغُ الْقَلْبِ لِلْخِدْمَةِ وَاجْتِمَاعِ

ص: ١٨٩

الْهَمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ وَطَلَبُ النَّجَاةِ فِي طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ} [الاحقاف: ١٣].

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ
قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ).^١

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اسْتَقَامُوا" لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَوَلْمِ
يُرُوغُوا رُوغَانَ التَّعَالِبِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيُّ: "اسْتَقَامُوا" أَخْلَصُوا لِلَّهِ الدِّينَ وَالدَّعْوَةَ وَ
الْعَمَلَ.

وَأَصْلُ الْإِسْتِقَامَةِ فِي ثَلَاثَةِ أَتْبَاعِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ.

ص: ٩٠ (فارغ المتن)

ص: ١٩١

^١ أخرجه مسلم بلفظ متقارب، الصحيح، باب:

وَأَعْلَمُ أَنَّ أُنْحَى طَرِيقَ لِّلْعَبْدِ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ وَالتَّحَرُّزُ بِالْخَوْفِ، وَالْغِنَى
بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. فَاشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِ حَالِكَ، وَافْتَقِرْ إِلَى رَبِّكَ وَتَنَزَّهُ عَنِ
الشُّبُهَاتِ،

ص: ١٩٢

وَأَقْبِلْ حَوَائِجَكَ إِلَى النَّاسِ وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَآكِرَهُ
لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ.
وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا، وَلَا تُظْهِرَنَّ سِرًّا، وَلَا تَكْشِفَنَّ سِتْرًا، وَلَا تُحَدِّثَنَّ نَفْسَكَ
بِحَطِيئَةٍ وَلَا تُصِرَّنَّ عَلَى صَغِيرَةٍ.

ص: ١٩٣

وَافْرَعْ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ كُلِّ فَاقَةٍ، وَافْتَقِرْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ،
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ.
وَاعْتَزِلْ الْهَوَى وَلَا تَقْنَعْ مِنْ نَفْسِكَ بِالتَّرْبُصِ، وَأَخْمِلْ ذِكْرَكَ، وَأَدِمَّ لِلَّهِ
شُكْرَكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَاعْتَبِرْ بِالْأَفْكَارِ، وَاسْتَعِدَّ بِالْعِلْمِ لِقُفُوعِ
الْفِتَنِ.

وَعَلَيْكَ بِالتَّأْيِي عِنْدَ مَوَارِدِ الْعَجَلَةِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْمُخَالَطَةِ.
وَلَا تَغْضَبْ لِنَفْسِكَ عَلَى النَّاسِ، وَاغْضَبْ لِلَّهِ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُكَافِئَنَّ
أَحَدًا بِإِسَاءَةٍ، وَاحْذَرِ الْمِدْحَةَ لِلْجَاهِلِ بِنَفْسِهِ، وَلَا تَقْبَلْ هَالِنَفْسِكَ
مِنْ أَحَدٍ.

وَأَقْبِلِ الضَّحِكَ وَجَانِبِ الْمِرَاحِ.

ص: ١٩٤

وَإِكْتِمِ الْأَوْجَاعَ، وَأَظْهِرِ التَّعَفُّفَ، وَاسْتَبْطِنِ الثِّقَةَ وَاسْتَشْعِرِ الْيَأْسَ وَحُسْنَ
 الْفَقْرِ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ، وَكُنْ مِنْ وَعْدِ
 اللَّهِ عَلَى يَقِينٍ، وَمِنْ وَعِيدِهِ عَلَى وَجَلٍ.
 وَلَا تَتَكَلَّفَنَّ مَا قَدْ كُفِّتَهُ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ مَا وَكَّلْتَ بِطَلَبِهِ، وَافْتَقِرْ إِلَى اللَّهِ فِي
 كُلِّ عَطَائِهِ، وَارْغَبْ فِي النِّجَاةِ مِنْهُ.
 وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَصِلْ فِي اللَّهِ مَنْ قَطَعَكَ، وَآثِرْ
 فِي اللَّهِ مَنْ أَحَبَّكَ، وَابْدُلْ نَفْسَكَ وَمَالَكَ لِإِخْوَانِكَ،

ص: ١٩٥

وَارْزُقْ حُقُوقَ الْمَوْلَى فِي دِينِكَ وَلَا يَعْظُمَ فِي عَيْنَيْكَ كَبِيرٌ مِنْ
 الْمَعْرُوفِ تَفَعُّلُهُ، وَلَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا مِّنَ الْمُنْكَرِ تَفَعُّلُهُ، وَتَفَطَّنْ لِدَسَائِسِ
 الْقُلُوبِ فَإِنَّ لِلَّهِ عُقُوبَاتٍ.
 وَاحْذَرِ التَّزْيِينَ بِالْعِلْمِ كَمَا تَحْذَرُ الْعُجْبَ بِالْعَمَلِ وَلَا تَعْتَقِدَنَّ بَاطِنًا مِنْ
 الْأَدَبِ يَنْقُضُهُ عَلَيْكَ ظَاهِرٌ مِّنَ الْعِلْمِ.
 وَأَطِعِ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ وَلَا تُطِعِ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا
 تَدَّخِرَنَّ مِنْ جُهْدِكَ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ لِلَّهِ عَمَلًا،
 وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي صَلَاتِكَ جُمْلَةً.

(ص: ١٩٦ فارغة المتن)

ص: ١٩٧

وَأَدِّ زَكَاةَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالنَّشَاطِ وَالرَّغْبَةِ، وَاحْفَظْ صَوْمَكَ
مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ.

وَارْزُقْ حَقَّ الْجَارِ وَالْمِسْكِينِ وَالْقَرِيبِ

ص: ١٩٨

وَأَدِّبْ أَهْلَكَ وَارْزُقْ بِمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، وَكُنْ قَوَّامًا بِالنَّشَاطِ كَمَا أَمَرَكَ
مَوْلَاكَ، وَإِذَا حُرِّمْتَ لِحَيْرٍ فَتَعَجَّلْهُ، وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَدَعُهُ
وَالزَّمِ الرَّحْمَةَ لِلْمُذْنِبِينَ، وَلَا تَدْعِ النَّصِيْحَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقُلِ الْحَقَّ حَيْثُمَا
كُنْتَ.

وَلَا تُكْثِرِ الْإِيمَانَ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا،

ص: ١٩٩

وَلَا تُخَاصِمِمْ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا، وَاحْذَرِ التَّوَسُّعَ فِي الْمَنْطِقِ وَإِنْ كُنْتَ بَلِيغًا
وَإِيَّاكَ وَالتَّكَلُّفَ فِي الدِّينِ وَإِنْ كُنْتَ عَالِمًا بِهِ.
وَقَدِّمِ الْعِلْمَ قَبْلَ كُلِّ مَقَالٍ.

(ص: ٢٠٠ فارغة المتن)

ص: ٢٠١

وَالزَّمِ الْإِشْفَاقَ بَعْدَ الْإِجْتِهَادِ وَدَارِ النَّاسَ مَا سَلِمَ لَكَ الدِّينُ وَاحْذَرِ
الْمُدَاهَنَةَ أَصْلًا.

ص: ٢٠٢

وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ.

وَلَا تَسْتَحِينَ أَنْ تَقُولَ فِيمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ .
وَلَا تَنْشُرْ حَدِيثَكَ عِنْدَ مَنْ لَا يُرِيدُهُ وَلَا تَبْدُلْ دِينَكَ عِنْدَ مَنْ
يَبْغِضُهُ إِلَيْكَ .

وَلَا تَتَعَرَّضْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ وَأَكْرَمِ نَفْسَكَ عَمَّنْ يَهِينُهَا
وَنَزِهِ هِمَّتَكَ عَنِ دَنَاءَةِ الْإِخْلَاقِ وَلَا تَوَاحِ إِلَّا أَمِينًا وَلَا تَبْدُ أَسْرَارَكَ
لِكُلِّ النَّاسِ وَلَا تَجَاوِزِ بِالْمَرْءِ حَالَهُ وَلَا تَخَاطِبِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا لَا
يَحْتَمِلُهُ عَقْلُهُ وَلَا تَدْخُلْ فِي أَمْرٍ لَمْ تَدْعِ إِلَيْهِ
وَوَقِرْ مَجَالِسَ الْعُلَمَاءِ وَاعْرِفْ قَدْرَ الْحُكَمَاءِ

ص: ٢٠٣

وَلَا تَدْعِ الْمَكَافَاةَ بِالصَّنَائِعِ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَبِالدُّعَاءِ،

ص: ٢٠٤

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ وَاحْلُمْ عَنِ السُّفَهَاءِ وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ اللَّهَ.

وَأَنْصُرْ أَخَاكَ مَظْلُومًا وَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ إِنْ كَانَ ظَالِمًا، وَابْدُلْ لَهُ حَقَّهُ
مِنْكَ، وَلَا تُطَالِبْهُ بِحَقِّكَ مِنْهُ، وَيَسِّرْ عَلَى الْغَرِيمِ، وَارْفُقْ بِالْأَرْمَلَةِ
وَالْيَتِيمِ، وَأَكْرِمِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَارْحَمْ أَهْلَ الْبَلَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا
تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى نِعْمَةٍ. وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا بِغَيْبَةٍ.

وَسُدَّ عَلَى نَفْسِكَ بَابَ سُوءِ الظَّنِّ بِخَوْفِ الْمَسْأَلَةِ، وَافْتَحَ بَابَ حُسْنِ
الظَّنِّ بِسَعَةِ التَّأْوِيلِ، وَأَغْلَقَ بَابَ الطَّمَعِ بِالْإِيَّاسِ وَاسْتَفْتَحَ بَابَ الْغِنَى
بِالْقِنَاعَةِ.

ص: ٢٠٥

وَنَزَّ ذَكَرَ اللَّهُ عَنِ إِضَافَةِ الْمَكَارِهِ.
وَحَصَّلَ الْأَوْقَاتَ، وَاعْرِفَ مَا يَذْهَبُ بِهِ لَيْلُكَ وَنَهَارُكَ
(ص: ٢٠٦-٢٠٨ فارغة المتن)

ص: ٢٠٩

وَجَدَّدَ فِي كُلِّ وَقْتِ تَوْبَةٍ، وَاجْعَلْ عُمْرَكَ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ: سَاعَةً لِلْعِلْمِ
وَسَاعَةً لِلْعَمَلِ وَسَاعَةً لِحُقُوقِ نَفْسِكَ وَمَا يَلْزِمُكَ.
وَاعْتَبَرَ بِمَنْ مَضَى وَتَفَكَّرَ فِي مُنْصَرَفِ الْفَرِيقَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ بِرِضَاهُ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ بِسَخَطِهِ وَاعْرِفِ قُرْبَ اللَّهِ مِنْكَ
وَأَكْرَمِ

ص: ٢١٠

الْحَفِظَةَ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ.
وَتَنَاوَلْ نِعَمَ اللَّهِ بِالْفَهْمِ، وَرُدَّهَا إِلَيْهِ بِحُسْنِ الثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ
(ص: ٢١١ فارغة المتن)

ص: ٢١٢

وَاحْذَرُ مِنْ اتِّهَامِ النَّفْسِ بِرُؤْيَا الْمَقَامَاتِ، وَتَسْفِيهِهِ الْحَقِّ بِغَمَطِ النَّاسِ
فِيَّانَهُ سُمِّ قَاتِلٌ، وَاعْتَزِلْ خَوْفَ السُّفُوطِ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، بِخَوْفِ مَقْتِ
اللَّهِ لَكَ، وَخَوْفِ الْفَقْرِ بِقُرْبِ الْأَجْلِ مِنْكَ. وَأَخْفِ أَثْرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ

ص: ٢١٣

وَابْذُلْ الْجُهْدَ عِنْدَ الْمَشُورَةِ وَأَحِبَّ فِي اللَّهِ بَعْزِمَ، وَأَقْطَعْ فِي اللَّهِ بِحَزْمٍ.

ص: ٢١٤

وَلَا تُخَالِلْ إِلَّا تَقِيًّا عَالِمًا وَلَا تُخَالِطْ إِلَّا عَاقِلًا بَصِيرًا
وَكُنْ مُقْتَدِيًّا بِمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَيْمَّةِ، مُعَلِّمًا لِمَنْ بَعْدَكَ مِنَ الْأُمَّةِ،
إِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ كَهْفًا لِلْمُسْتَرْشِدِينَ.

وَلَا تُظْهِرَنَّ إِلَى أَحَدٍ شِكْوَى، وَلَا تَأْكُلْ بِدِينِكَ الدُّنْيَا،

ص: ٢١٥

وَحُذِّ بِحِظِّكَ مِنَ الْعُزَلَةِ،

ص: ٢١٦

وَلَا تَأْخُذَنَّ إِلَّا حَالًا وَجَانِبِ الْإِسْرَافِ، وَأَقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ.

ص: ٢١٧

وَاطْلُبِ الْأَدَبَ فِي بَسَاتِينِ الْعِلْمِ، وَالْأُنْسَ فِي مَوَاطِنِ الْخُلُوةِ، وَالْحَيَاةَ فِي
شُعْبِ الْيَقِينِ، وَالْإِعْتِبَارَ فِي أَوْدِيَةِ التَّفَكُّرِ وَالْحِكْمَةِ فِي رِيَاضِ الْخَوْفِ.

وَاعْرِفْ دَوَامَ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْكَ مَعَ مُخَالَفَتِكَ لِأَمْرِهِ وَحِلْمِهِ عَنْكَ مَعَ
إِعْرَاضِكَ عَنْ ذِكْرِهِ وَسْتَرِهِ عَلَيْكَ مَعَ قِلَّةِ حَيَائِكَ مِنْهُ وَغِنَاهُ عَنْكَ مَعَ
فَقْرِكَ إِلَيْهِ.

أَيْنَ عَالَمُ بَرِّهِ؟ أَيْنَ خَائِفٌ مِّنْ ذَنْبِهِ؟ أَيْنَ مَسْرُورٌ بِقُرْبِهِ؟ أَيْنَ

ص: ٢١٨

مَشْغُولٌ بِذِكْرِهِ؟ أَيْنَ مُشْفِقٌ مِّنْ بُعْدِهِ؟ هُوَ ذَا مَعْفُورٍ لَهُ يَا مَعْرُورٌ!! أَلَمْ
يَرَكَ الْجَلِيلُ وَقَدْ هَتَكَ السُّتُورَ!؟

وَاعْلَمْ يَا أَحِيَّ أَنَّ الذُّنُوبَ تُورِثُ الْعَقْلَةَ، وَالْعَقْلَةَ تُورِثُ الْقَسْوَةَ،
وَالْقَسْوَةَ تُورِثُ الْبُعْدَ مِنَ اللَّهِ، وَالْبُعْدَ مِنَ اللَّهِ يُورِثُ النَّارَ وَإِنَّمَا يَتَفَكَّرُ
فِي هَذَا: الْأَحْيَاءُ، وَأَمَّا الْأَمْوَاتُ فَقَدْ أَمَاتُوا أَنْفُسَهُمْ بِحُبِّ الدُّنْيَا.

(ص: ٢١٩-٢٢١ فارغة المتن)

ص: ٢٢٢

وَاعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا لَا يُغْنِي ضَوْءُ النَّهَارِ: الْأَعْمَى، كَذَلِكَ لَا يُضِيءُ بِنُورِ
الْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ التَّقَى.

وَكَمَا أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَنْفَعُهُ الدَّوَاءُ فَكَذَلِكَ

ص: ٢٢٣

لَا يُفِيدُ الْأَدَبَ فِي أَهْلِ الدَّعْوَى.

وَكَمَا لَا يُنْبِتُ الْوَابِلُ الصِّفَا كَذَلِكَ لَا تُثْمِرُ الْحِكْمَةَ بِقَلْبٍ مُّحِبِّ
الدُّنْيَا.

وَمَنْ أَلِفَ هَوَاهُ قَلَّ أَدَبُهُ، وَمَنْ خَالَفَ دَلَالََةَ عِلْمِهِ كَثُرَ جَهْلُهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ دَوَاءُهُ كَيْفَ يُدَاوِي غَيْرَهُ؟!
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَرْوَاحَ النَّاسِ أَبْدَانًا، وَأَقْلَهُمْ هَمًّا: أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا.

ص: ٢٢٤

وَأَتَعَبُ النَّاسِ قُلُوبًا وَأَكْثَرُهُمْ شُغْلًا: أَهْلُ الْإِهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا
وَأَعْوَنُ الْأَخْلَاقِ عَلَى الزُّهْدِ قَصْرُ الْأَمَلِ وَأَقْرَبُ حَالَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
ذِكْرُ الْقِيَامِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ. قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
[النساء : ١]}.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ أَقْرَبُ مِنَ الصِّدْقِ وَلَا دَلِيلَ أَنْجَحُ مِنَ

ص: ٢٢٥

الْعِلْمِ وَلَا زَادَ أَبْلَغُ مِنَ التَّقْوَى.
وَمَا رَأَيْتُ أَنْفَى لِلْوَسْوَاسِ مِنْ تَرْكِ الْفُضُولِ، وَلَا أَنْوَرَ لِلْقَلْبِ مِنْ سَلَامَةِ
الصِّدْرِ.

ص: ٢٢٦

وَوَجَدْتُ كَرَامَةَ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ، وَحِلْمُهُ صَبْرُهُ، وَعَقْلُهُ بَحْمَلُهُ، وَمَوَدَّتُهُ
بِحَاوِزُهُ وَعَفْوُهُ، وَشَرَفُهُ تَوَاضُعُهُ وَرَفِيقُهُ هُدًى.

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَحَبَّةَ الْغِنَى - مَعَ اخْتِيَارِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْفَقْرَ - تَسْخُطُ وَمَحَبَّةُ
الْفَقْرِ - مَعَ اخْتِيَارِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْغِنَى - جَوْرٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ هَرْبٌ مِّنَ
الشُّكْرِ لِقَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَتَضْيِيعِ اللَّأْوَقَاتِ مِنْ قَصْرِ الْعِلْمِ.

وَذَلِكَ أَنَّ إِيمَانَ الْغَنِيِّ لَا يُصْلِحُهُ الْفَقْرُ، وَإِيمَانُ الْفَقِيرِ لَا يُصْلِحُهُ

ص: ٢٢٧

الْغَنِيِّ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَبْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ).

ص: ٢٢٨

وَكَذَلِكَ فِي الصِّحَّةِ وَالسَّقَمِ، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَتَّهَمْهُ، وَمَنْ فَهِمَ عَنِ اللَّهِ رَضِيَ بِقَضَائِهِ. وَلَوْ

ص: ٢٢٩

لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكَفَّتْهُمْ: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ [الْقِصَص : ٦٨] }

وَاحْذَرِ أَخْلَاقَ الْجَاهِلِينَ وَمُجَالَسَةَ الْمُذْنِبِينَ، وَدَعَاوَى الْمُعْجِبِينَ، وَرَجَاءَ الْمُعْتَرِّينَ، وَيَأْسَ الْقَانِطِينَ.

وَكُنْ بِالْحَقِّ عَامِلًا، وَبِاللَّهِ وَاثِقًا، وَبِالْمَعْرُوفِ أَمْرًا وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا فَإِنَّ مَنْ صَدَقَ اللَّهُ نَصَحَهُ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لِغَيْرِهِ فَضَحَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ وَثِقَ بِغَيْرِهِ مَقْتَهُ، وَمَنْ خَافَهُ أَمِنَهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ

ص: ٢٣٠

زَادَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَكْرَمَهُ وَمَنْ آثَرَهُ أَحَبَّهُ. وَمَنْ أَحَبَّهُ مَوْلَاهُ فَقَدْ فَازَ.

وَاحْذَرُ أَنْ تَدِينَنَّ لِلَّهِ بِالْعَقْلِ، وَتَعْمَلَ بِالْهَوَى وَتَتْرَكَ الْحَقَّ وَتَبُوءَ بِالْبَاطِلِ
وَتَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ وَأَنْتَ نَاسٍ لِلتَّوْبَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُرْضَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَّا مَا ثَبَتَ بِالْيَقِينِ أَصْلُهُ،
وَعَلَا بِالصِّدْقِ فَرْعُهُ، وَأَثْمَرَ بِالْوَرَعِ نَبَاتُهُ، وَقَامَ بِالِإِشْفَاقِ بُرْهَانُهُ،
وَحُجِبَ بِالْحَشْيَةِ أَسْتَارُهُ، فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ بِالتَّوَانِي فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ
لِأَحَدٍ فِي التَّفْرِيطِ وَلَا لِأَحَدٍ عَنِ اللَّهِ غِنَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنَ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْفِيقَ
لِمَحَابَّتِهِ. وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَهَبَ لَهُ الْعَقْلَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمَ

(ص: ٢٣١ فارغة المتن)

ص: ٢٣٢

وَحَبَّاهُ بِالِإِشْفَاقِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِالرَّفْقِ وَأَغْنَاهُ بِالْقَنَاعَةِ، وَبَصَّرَهُ عَيْبَهُ.

ص: ٢٣٣

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ، فَعَنِ
الصِّدْقِ يَتَشَعَّبُ الصَّبْرُ وَالْقَنَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَالرِّضَا وَالْأُنْسُ.

وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَتَشَعَّبُ الْيَقِينُ وَالْخَوْفُ وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِجْلَالُ وَالْحَيَاءُ
وَالتَّعْظِيمُ.

وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ مَوْطِنٌ يُعْرَفُ بِهِ حَالُهُ فَيُقَالُ لَهُ:
خَائِفٌ، وَفِيهِ الرَّجَاءُ، وَرَاجٍ، وَفِيهِ الْخَوْفُ وَصَابِرٌ، وَفِيهِ الرِّضَا

و:مُحِبُّ، وَفِيهِ الْحَيَاءُ. وَ:قُوَّةٌ كُلِّ حَالٍ وَضَعْفُهُ بِحَسَبِ إِيمَانِ الْعَبْدِ
وَمَعْرِفَتِهِ.

وَلِكُلِّ أَصْلٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا الْحَالُ:

ص: ٢٣٤

فَالصِّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ:

صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ تَحْقِيقًا، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقُ اللَّفْظِ
فِي الْكَلَامِ.

وَالصَّبْرُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ:

الصَّبْرُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ
اِحْتِسَابًا لِلَّهِ.

وَالْقَنَاعَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

قِلَّةُ الْغِذَاءِ بَعْدَ وُجُودِهِ، وَصِيَانَةُ الْفَقْرِ عِنْدَ الْعَدَمِ وَقِلَّةُ الْأَسْبَابِ
وَالسُّكُونُ إِلَى أَوْقَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَعَ حُلُولِ الْفَاقَةِ.

وَلِلْقَنَاعَةِ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، فَأَوَّلُهَا: تَرْكُ الْفُضُولِ مَعَ وُجُودِ الْإِتْسَاعِ وَآخِرُهَا
وُجُودُ الْغِنَى مَعَ الْقِلَّةِ وَفَقْدِ الْأَسْبَابِ، وَمِنْ هَاهُنَا قَالَ بَعْضُهُمْ:
الْقَنَاعَةُ أَعْلَى مِنَ الرِّضَا "وَإِنَّمَا أَرَادَ قَنَاعَةَ التَّمَامِ لِأَنَّ الرَّاظِي لَا يَتَغَيَّرُ
فِي الْمَنَعِ وَالْعَطَاءِ، وَالْقَانِعُ غَنِيٌّ بِرَبِّهِ، لَا يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ مَعَهُ مِنْ حَظِّ هَوَاهُ
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ.

وَالزُّهُدُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ - لَا يُسَمَّى زَاهِدًا إِلَّا بِهَا - : خَلْعُ الْأَيْدِي مِنَ الْأَمْلاكَ، وَنَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَلَالِ وَالسَّهْوُ عَنِ الدُّنْيَا بِكَثْرَةِ الْأَوْقَاتِ. وَ يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَزَهِّدًا بِثَلَاثَةِ أُخَرَ: حَمِيَّةُ النَّفْسِ عِنْدَ تَرَامِي الْإِرَادَاتِ وَالْهَرَبُ مِنْ مَوَاطِنِ الْغِنَى وَأَخْذُ الْمَعْلُومِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. وَالْأُنْسُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَنْسٌ بِالْعِلْمِ وَالذِّكْرِ فِي الْخُلُوةِ. وَأُنْسٌ

ص: ٢٣٥

بِالْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ مَعَ الْخُلُوةِ وَأُنْسٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ حَالٍ. وَالرِّضَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ: قُبُولُ أَحْكَامِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ، وَتَرْكُ الْإِخْتِيَارِ فِي قَضَائِهِ. وَالرِّضَا نِظَامُ الْمَحَبَّةِ وَنَفْسُ التَّوَكُّلِ، وَرُوحُ الْيَقِينِ. وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولَانِ: الرِّضَا: التَّوَكُّلُ. فَهَذِهِ شُعْبُ الصِّدْقِ الْمَأْخُودَةُ بِأَوْصَافِ الْعِلْمِ. وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِي يَدَيْهِ.

ص: ٢٣٦

وَأَمَّا شُعْبُ الْإِخْلَاصِ فَلَا يُسَمَّى الْمُخْلِصُ مُخْلِصًا حَتَّى يُفْرِدَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ.

(ص: ٢٣٧-٢٣٩ فارغة المتن وفيها التعليقات)

ص: ٢٤٠

ثُمَّ أَرَادَتْهُ اللَّهُ بِإِقَامَةِ التَّوْحِيدِ، وَجَمَعَ الِهْمَّ لَهُ وَبِهِ فِي الْفَرَضِ وَالنَّفْلِ.
 وَصَحَّةُ الْيَقِينِ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الثَّقَّةِ بِاللَّهِ وَالْإِنْفِيَادِ
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِشْفَاقُ وَالْوَجَلُ مِنْ سَابِقِ الْعِلْمِ.
 وَلِلْيَقِينِ أَوَّلٌ وَ آخِرٌ فَأَوَّلُهُ: الطَّمَأْنِينَةُ، وَآخِرُهُ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْكَفَايَةِ لِقَوْلِهِ
 جَلَّ وَعَزَّ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}. [الزمر: ٣٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. [الأنفال: ٦٤].
 وَالْحَسْبُ هُوَ: الْكَافِي وَالْمُكْتَفِي هُوَ: الْعَبْدُ الرَّاضِي بِمَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى.

ص: ٢٤١

وَإِنَّمَا قُلْنَا آخِرُ الْيَقِينِ مِنْ وُجُودِ أَوْصَافِ الْعَبْدِ مَقَامَ الْإِيمَانِ لَا فِي
 آخِرِ الْيَقِينِ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ كَمَا قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَنْ يَبْلُغَ أَحَدٌ مِّنَ اللَّهِ كُنْهًا) قَالُوا:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بَلَعْنَا أَنَّ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْشِي عَلَى
 الْمَاءِ قَالَ: لَوْ أَرَادَ يَتَّقِينَا وَخَوْفًا لَمْ شَى فِي الْهَوَاءِ".^١
 وَلَا يَكُونُ الْخَوْفُ إِلَّا بَعْدَ الْيَقِينِ وَهَلْ رَأَيْتَ خَائِفًا لَمَّا لَمْ يَسْتَيْقِنْهُ؟.
 وَالْخَوْفُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: خَوْفُ الْإِيمَانِ وَعَلَامَتُهُ بَدَلُ الْجُهْدِ فِي مَفَارِقَةِ
 الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَهُوَ خَوْفُ الْمُرِيدِينَ.

ص: ٢٤٢

١ . المرفوع موضوع، و إنما هو قول بكر بن عبد الله المزني، انظر: الزهد لأحمد بن حنبل ص: ٥٦-٥٧

وَحَوْفُ السَّلْبِ وَعَلَامَتُهُ الْخَشْيَةُ وَالْإِشْفَاقُ وَالْوَرَعُ، وَهُوَ خَوْفُ الْعُلَمَاءِ
بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَحَوْفُ الْفُوتِ وَعَلَامَتُهُ بَدَلُ الْجُهْدِ فِي طَلَبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ بِوُجُودِ الْهَيْبَةِ
وَالْإِجْلَالِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ خَوْفُ الصَّادِّقِينَ.

وَمَقَامٌ رَابِعٌ فِي الْخَوْفِ خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَهُوَ خَوْفُ الْإِعْظَامِ لِأَنَّهُمْ آمَنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَمَانِ اللَّهِ لَهُمْ فَخَوْفُهُمْ
تَعَبُّدُهُمْ لِلَّهِ إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا.

وَالْمَحَبَّةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا يُسَمَّى مُحِبًّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِهَا مُحَبَّةُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَامَةُ ذَلِكَ: كَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَجَلْبُ
الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَبِيلِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَامَةُ ذَلِكَ اتِّبَاعُ
سُنَّتِهِ

(ص: ٢٤٣ فارغة المتن)

ص: ٢٤٤

قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل

عمران : ٣١]

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي إِثَارِ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيُقَالُ: ذَكَرُ النِّعْمَةِ
يُورَثُ الْمَحَبَّةَ.

ص: ٢٤٥

وَلِلْمَحَبَّةِ أَوَّلُ وَوَسَطٌ، وَ آخِرٌ: فَأَوْلُهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ بِالْأَيْدِي وَالْمِنَنِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا. وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ عَهْدًا وَرَحْمَةً وَرَأْفَةً وَتَجَاوُزًا إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمَ الْكَرِيمَ.

وَوَسَطُهَا: الْإِمْتِثَالُ لِأَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، بِحَيْثُ لَا يَفْقِدُكَ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ، وَلَا يَجِدُكَ فِيمَا نَهَاكَ عَنْهُ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ ذَهَبَ الْإِعْتِرَافُ بِهَا وَالْإِنْقِلَابُ عَنْهَا فِي الْحِينِ.

وَأَعْلَاهَا الْمَحَبَّةُ لِوَجُوبِ حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْفَضِيلِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّمَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لَطَّائِوسٍ: أَوْصِنِي. قَالَ: أَوْصِيكَ أَنْ تُحِبَّ اللَّهُ حُبًّا حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْهُ وَخَفَهُ خَوْفًا حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَخْوَفَ إِلَيْكَ مِنْهُ، وَارْجُ اللَّهُ رَجَاءً يَحْوُلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْخَوْفِ وَارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ، ثُمَّ فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ عِلْمَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْإِجْلَالَ وَالتَّعْظِيمَ مِنَ الْحَيَاءِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَلَا غِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ وَإِذَا اسْتَحْيَا الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ عَظَّمَهُ وَأَجَلَّهُ.

وَأَصْلُ الْحَيَاءِ الْمُرَاقَبَةُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

ص: ٢٤٦

والمُراقِبَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مُرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ، وَمُرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ بِالتَّرْكِ، وَمُرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي الْهَمِّ وَالْخَوَاطِرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).^١

وَمُرَاقِبَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَشَدُّ تَعَبًا عَلَى الْبَدَنِ مِنْ مُكَابَدَةِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ وَإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ آنِيَةَ، وَإِنَّ مِنْ آنِيَتِهِ فِيهَا الْقُلُوبُ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا

ص: ٢٤٧

مَا صَفَا وَصَلَبَ وَرَقَّ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَصْفِي الْقَلْبَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَمَشَاهِدَةِ الصِّدْقِ وَالْإِشْفَاقِ وَصَفَاةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبُولِ مَا أَتَى بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً

وَصَفَاةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّ الْأَذَى وَإِيصَالِ النِّفَعِ

وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ صَفَاءَ الْقَلْبِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمُشَاهِدَةِ الصِّدْقِ وَالْإِشْفَاقِ، وَصَفَاةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبُولِ مَا أَتَى بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً، وَصَفَاةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّ الْأَذَى وَإِيصَالِ النِّفَعِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَصَلْبٌ " فَمَعْنَاهُ قَوِيٌّ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَقَوْلُهُ: وَرَقٌّ " فَالرَّقَّةُ عَلَى وَجْهَيْنِ: رِقَّةٌ بِالْبُكَاءِ وَرِقَّةٌ بِالرَّأْفَةِ.
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

(تمت الرسالة)